

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتُلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ
أَفَأَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَُمُ النَّارِ وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: 72]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لما ذكر الله سبحانه اعترافهم بما لا يُعرف بنقل ولا عقل؛
ذَكَرَ إنْكَارَهُمْ لما لا يَصِحُّ أَنْ يُنْكَرَ ولا أَنْ يُجْحَدَ؛ ولما كان غيظهم
من التذكير بالآيات، ودعوتهم إلى الحق الذي جاء من عند الله
عذاباً لهم في الدنيا؛ أَبَانَ سبحانه لهم أَنَّ ما ينالهم من النار التي
يقتحمونها بأفعالهم وأقوالهم، أعظم مما ينالهم من الغم والغيظ
حين تلاوة هذه الآيات⁽¹⁾.

يشتد عليهم
الغيظ في
الدنيا والحقن
بهم يستبد،
وعذابهم في
الآخرة أخزى
وأشد

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿تَعْرِفُ﴾: (عرف) أصلاً صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا
عَلَى تَتَابُعِ الشَّيْءِ مُتَّصِلًا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَالْآخَرُ عَلَى السُّكُونِ
وَالطَّمَأْنِينَةِ، الْمَعْرِفَةُ وَالْعِرْفَانُ: الْعِلْمُ وَإِدْرَاكُ الشَّيْءِ بِتَفَكُّرٍ
وَتَدَبُّرٍ⁽²⁾، وَهُوَ ضِدُّ الْإِنْكَارِ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ إِذَا أَنْكَرَتْ شَيْئًا اسْتَوْحَشَتْ
مِنْهُ، وَإِذَا عَرَفَتْهُ، سَكَنَتْ لَهُ وَاطْمَأَنَّتْ، يُقَالُ: عَرَفَ الشَّيْءَ يَعْرِفُهُ
مَعْرِفَةً وَعِرْفَانًا، وَاعْتَرَفَهُ: عَلِمَهُ⁽³⁾، أَصْلُهُ مِنْ سَكُونِ النَّفْسِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 250 - 251، والبقاعي، نظم الدرر: 93/ 93 - 94، والمراغي، تفسير القرآن: 17/ 141، والهرري، حقائق الروح والريحان: 18/ 400.

(2) الراغب، المفردات: (عرف).

(3) الجوهري، الصحاح وابن فارس، للجمل، وابن منظور، لسان العرب: (عرف).

وطمأنينتها⁽¹⁾، والمعروف: ضد المنكر، والعرف: ضد النكر⁽²⁾، ومعنى: ﴿تَعْرِفُ﴾ في الآية: يتبين⁽³⁾.

(2) ﴿الْمُنْكَرُ﴾: (نكر) أصل يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب⁽⁴⁾، والإنكار: الجحود، وهو ضد العرفان، يقال: أَنْكَرْتُ كذا إنكارًا ونُكْرًا، وَنَكَرْتُ كذا نكيرًا، واستنكرته، وأصله أن يرد على القلب ما لا يتصوره، وذلك ضَرْبٌ من الجهل⁽⁵⁾.

وقد يُستعمل فيما يُنكر باللسان، وسبب الإنكار باللسان هو الإنكار بالقلب، لكن ربما يُنكرُ اللسان الشيء، وصورته حاصلة في القلب، ويكون في ذلك كاذبًا⁽⁶⁾.
والمُنْكَر من الأمر: خلافُ المعروف، وهو كلُّ فعلٍ تَحْكُمُ العقولُ الصحيحةُ بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقولُ، فَتَحْكُمُ بقبحه الشريعة⁽⁷⁾.

(3) ﴿يَسْطُونَ﴾: (سطا) أصلٌ يدلُّ على القهر والعلو⁽⁸⁾، والسَطْوَةُ: البَطْشُ برفع اليد، والقهر به، يُقال سَطَا عليه وبه سَطَوًا وَسَطَوَةً: صال⁽⁹⁾، قال الله تعالى: ﴿يَكَاذِبُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾؛ أي: يَبْسُطُونَ إليهم أيديهم إذا سمعوا الرجل من المسلمين يتلو القرآن يكادون يَبْطِشُونَ به⁽¹⁰⁾، وتُسْتَعَارُ السَطْوَةُ للماء كالتَّطْعُو، يقال: سَطَا الماء، وطفى الماء: كَثُرَ⁽¹¹⁾.

(4) ﴿بَشَرٍ﴾: أصلٌ يدلُّ عَلَى الْإِنْتِشَارِ وَالتَّطَايُرِ، وَالشَّرُّ: السَّوُّ الذي يرغب عنه كلُّ النَّاسِ وقد يكون دينيًا ودنيويًا، كما أَنَّ الْخَيْرَ هو الذي يرغب فيه كلُّ النَّاسِ، وَالشَّرُّ ضِدُّ الْخَيْرِ، وجمعه شرور⁽¹²⁾، ويقال: شَرَرَتْ يا رجلُ شَرًّا وشرارًا وشرارة، وفلان شَرٌّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عرف).

(2) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (عرف).

(3) البغوي، معالم التنزيل: 399/5، والخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل: 264/3.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نكر).

(5) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (نكر).

(6) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (نكر).

(7) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (نكر).

(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سطا).

(9) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (سطا).

(10) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (سطا).

(11) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي: (سطا).

(12) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (شر).

النَّاسِ: أَكْثَرُهُمْ شَرًّا، وَلَا يُقَالُ: أَشْرُهُمْ إِلَّا فِي لُغَةٍ رَدِيئَةٍ⁽¹⁾، وَرَجُلٌ شَرٌّ وَشَرِيرٌ: مُتَعَاظٍ لِلشَّرِّ، وَقَوْمٌ أَشْرَارٌ، وَقَدْ أَشْرَرْتُهُ: نَسَبْتُهُ إِلَى الشَّرِّ⁽²⁾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَأَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَُمْ﴾؛ أَي: بِشَرِّ لَكُمْ وَأَكْرَهٍ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي تَسْمَعُونَ⁽³⁾.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

بَيَّنَ الْمَوْلَى ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ الْمَشْرِكِينَ بِجَانِبِ كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ تَأْخُذُهُمُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ أَيْضًا إِذَا مَا نَصَحَهُمُ النَّاصِحُونَ بِالْإِقْلَاعِ عَنْ هَذَا الْكُفْرِ وَهَذَا الضَّلَالِ فَقَالَ: وَإِذَا تَتَلَّى عَلَى هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْوَاضِحَةِ، وَحُجَّجَهُ دَلَالَتُهُ الظَّاهِرَةُ تَرَى فِي وَجُوهِهِمُ الْإِنْكَارَ وَالْكَرَاهِيَةَ وَالْعَبُوسَ، يَكَادُونَ يَبْطِشُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا الدَّالَّةَ عَلَى قُدْرَتِنَا وَوَحْدَانِيَّتِنَا، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ أَتَيْهَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ فَقَالَ لَهُمْ: أَفَأَخْبِرُكُمْ أَيُّهَا الْمَشْرِكُونَ بِمَا هُوَ أَشَدُّ أَلَمًا وَغِيظًا لَكُمْ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي تَسْمَعُونَ؟ النَّارُ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ مِنْ أَمْثَالِكُمْ فِي الْآخِرَةِ أَشَدُّ أَلَمًا وَغِيظًا، وَبُسَّتِ النَّارُ مَوْتَلًا وَمَقَامًا وَمَرْجَعًا لَكُمْ أَيُّهَا الْمَشْرِكُونَ⁽⁴⁾.

❖ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالتَّبْلَاغِيُّ:

مَعْنَى الْوَاوِ فِي: ﴿وَإِذَا تَتَلَّى﴾:

الْوَاوُ عَاطِفَةٌ، حَيْثُ عَطَفَتْ جُمْلَةً ﴿وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ﴾ عَلَى جُمْلَةِ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾؛ لِبَيَانِ جُرْمِ آخَرٍ مِنْ أَجْرَامِهِمْ مَعَ جُرْمِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَهُوَ جُرْمُ تَكْذِيبِ الرَّسُولِ ﷺ، وَتَكْذِيبِ الْآيَاتِ الْمُنْزَلَةِ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ⁽⁵⁾.

تَعَدَّدَتْ سَبَلُ
صَدَّهِمْ؛
فَتَعَدَّدَتْ طَرُقُ
شَقَائِهِمْ

(1) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (شر).

(2) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (شر).

(3) البغوي، معالم التنزيل: 5/ 399، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 95، والخازن، لباب التأويل من معاني التنزيل: 3/ 264.

(4) البغوي، معالم التنزيل: 5/ 399 - 400، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 9/ 341 - 342.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 334، والهرري، الحقائق: 18/ 41.

النكران من أهل
البحر متجدد
ومعهود

البحر من
الكافرين كثير
ومتكرر؛ وليس
لهم من عذر أو
مبرر

الإعجاز في آيات
الله سبحانه
كائن؛ وإنكاره
جرح شائن

فائدة التعبير بالجملة الشرطية:

التقييد بالشرط في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ﴾؛ لإفادة أنَّ الفعل واقع في المستقبل؛ ولإفادة أنَّ البلاغ قائم ومتحقق، وإذا كان البلاغ متحققاً؛ فإنه سيقع صد وإعراض وتكذيب من أهل الكفر الجاحدين بآيات الله لا محالة، وذلك لترتب النتيجة على الشرط ترتب المسبب على السبب⁽¹⁾.

نكتة التعبير ب(إذا) دون (إن):

جاء التعبير في الآية الكريمة ب(إذا) التي تضمنت معنى الشرط؛ لإفادة التأكيد والتكثير؛ أي أنَّ إبلاغ الآيات سيتحقق، وسيقيض الله له من يقومون به في كل زمان ومكان، وأنَّ هذا البلاغ والتبيان لآيات الله سيواجه دائماً بالصد والإعراض من أولئك الجاحدين بالآيات، المكذبين بالرسالات، وهذا المعنى مستفاد من دلالة (إذا) على التحقيق، ولذا عدل عن استخدام (إن)؛ لأنها تحمل معنى الشك والتقليل، وهذا ما لا يقتضيه المقام⁽²⁾.

نكتة بناء الفعل (تتلى) إلى ما لم يُسم فاعله:

بُني الفعل (تتلى) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ لما لم يُسم فاعله؛ ليفيد أنَّ الآيات التي جاءت هي واضحة الدلالة، عظيمة الشأن. سواء جاء البلاغ من النبي ﷺ أو من أي أحد من أتباعه الذين عاشوا في زمنه أو الذين سيأتون بعد زمنه صلوات الله وتسليماته عليه⁽³⁾.

فليس المراد تعيين من يتلو، بل للاهتمام بالملتو، وذلك لبيان أنَّ اعتراض القوم إنما هو على هذه الآيات من حيث هي هي، لا من

(1) الهلال، الثري الجامع: 17/ 184، عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن: 179/ 1.

(2) القرافي، أنوار البروق في أنواء الفروق: 2/ 97، درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 480، والهلال، الثري الجامع: 17/ 184.

(3) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 535، والبقاعي، نظم الدرر: 13/ 94.

حيث من يتلوها، فقد بلغ بهم الكفر والإعراض مبلغاً أعمى قلوبهم، وأغشى أبصارهم، وأصمَّ أسماعهم.

نكتة التعبير بالمضارع في قوله تعالى: ﴿تُثَلِّثُ﴾:

عُبر في قوله تعالى: ﴿تُثَلِّثُ﴾ بصيغة المضارع؛ للدلالة على الاستمرار التجديدي؛ أي أنّ البلاغ عن الله تعالى ورسوله ﷺ، والدعوة إلى الحق سيظلُّ باقياً، وسيقيضُ الله سبحانه في زمان ومكان لهذه الدعوة المباركة رجالاً أشداء على الكفار رحماء بينهم يقومون بحمل أعبائها، وأداء رسالتها خير أداء⁽¹⁾.

دعوة الحق
باقية ومتجددة،
وألستُ حملتها
بها صادحة ولها
مرددة

وفي هذا إشارة أيضاً إلى تجدد الكفر من المعرضين، فكلماً تجددت على أسماعهم تلاوة الآيات تجدد منهم الإعراض والالتفات، فما أشدَّ إصرارهم على الإدبار، وما أصبرهم على النار!

نكتة تعدية التلاوة بحرف الاستعلاء:

جاء تعدية التلاوة بحرف الاستعلاء (عَلَى) في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ﴾؛ لبيان منزلة هذه الآيات وعلو قدرها، وعظيم شأنها؛ حيث إنها منزلة من العليّ الكبير سبحانه؛ ممّا يوجب على العباد الأخذ بها، والعمل بمقتضى أحكامها⁽²⁾.

آيات القرآن
واضحة جليّة،
ومكانتها جليّة
عليّة

وفي هذا إشارة إلى علو منزلة من يتلو هذه الآيات؛ إذ ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11].

غرض تقديم شبه الجملة ﴿عَلَيْهِمْ﴾:

تقدّم شبه الجملة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على نائب الفاعل وهو قوله سبحانه: ﴿ءَايِسْنَا﴾؛ لإفادة التخصيص بالسند إليه؛ أي: إذا تليت عليهم خصوصاً آياتنا اشمأزت وجوههم، وامتلات بالغيظ قلوبهم، فكانَّ

آيات القرآن
ناطقة بالعلو،
شاهدة على
الرفعة والسمو

(1) البقاعي، نظم الدرر: 94 / 13، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 120 / 6، والآلوسي، روح المعاني: 190 / 9.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 95 / 13.

جوابهم القبيح هذا مخصوصٌ بهم لما انطوت عليهم نفوسهم من الخبث، وما تَضَمَّنَتْ به قلوبهم من الدُّنس⁽¹⁾.

نكتة إضافة الآيات إلى ضمير العظمة:

يَعْظُمُ الْقُرْآنُ
بعظمة قائله،
ويرفع قدر
مبْلَغِهِ وحامله

جاءت الآيات مضافة إلى ضمير العظمة في قوله تعالى: ﴿ءَايَتُنَا﴾؛ لبيان أَنَّها من الله العظيم، وهذا باعث على وجوب اتِّباعها، وتصديق ما جاء فيها دون مرء، ولبيان ما ينتج عن ذلك من علوِّ شأنٍ وجلالةِ قَدْرٍ، وهذا أَكْدُ في وجوب تصديقها واتِّباعها، وأعظمُ في التَّشْنِيعِ على منكرها والمُعْرِضِ عنها⁽²⁾.

بلاغة الالتفات بالضمائر من الغَيْبَةِ إلى التَّكَلُّمِ في قوله تعالى: ﴿ءَايَتُنَا﴾:

الالتفات، مشير
لعظمة ربِّ
البريات، مبين
لمنزلة الآيات
البيِّنات

الالتفات بالضمائر من الغَيْبَةِ في قوله سبحانه: ﴿تَتْلُو﴾ إلى التَّكَلُّمِ في قوله تعالى:

﴿ءَايَتُنَا﴾ للاهتمام بالإخبار عن الذات العليَّة، ولتنشيط أذن السَّامِعِ إلى ما اختصَّت به الآيات المنزَّلة من عند ربِّ العالمين سبحانه وبحمده من علوِّ الشَّأنِ وعظيم المكانة، وبيان عظم جُرم مَنْ أنكرها وأعرض عنها؛ فمعصية العظيم إثمٌ عظيم⁽³⁾.

الموقع النَّحْوِيُّ لقوله تعالى: ﴿يَبَيِّنَتِ﴾:

أحكام القرآن
صادقة نقيَّة،
وبراهينه
ساطعة واقعيَّة

قوله تعالى: ﴿يَبَيِّنَتِ﴾ حال من الآيات؛ أي: هذه الآيات المتلوة على مسامع الكافرين المعرضين هي آيات واضحة الدلالة على العقائد الحقَّة والأحكام الصَّادقة، أو على بطلان ما هُم عليه من عبادة غير الله تعالى⁽⁴⁾.

وفي هذا غاية الإعذار، وبيان شدَّة الإعراض والنَّفَار، فقد أعذر

(1) الطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: 96/2.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 93/13.

(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 330/3، مطلوب، أساليب بلاغية، ص: 279.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 120/6، والآلوسي، روح اللعاني: 190/9.

اللَّهُ تعالى إليهم بتبيين الدلائل، وإزالة ما يحول دونها من حوائل، ولكنَّهم أصرُّوا على الإعراض، وأظهروا الإنكار والامتناع، فتبيَّن أنَّ كفرهم ليس بسبب خفاء الدليل، بل لكرهيتهم التَّنزيل، نعوذ بالله من الخذلان الويل!

دلالة التعبير بـ ﴿يَبَيَّنْتُ﴾ مادة وصيغة:

البيان: الانكشاف والوضوح⁽¹⁾، وقد أفاد التقييد بهذه الحال تصوير ما بلغه الكفار من غاية الإعراض ونهاية النفور عن تلمُّس الهدى والنور الذي أنزله الرَّبُّ الرَّحِيمُ الغفور؛ أي أنَّ هؤلاء البعداء الجفاة الغلاظ قد أنكروا الآيات حالة كونها بيِّنات، فليس فيها ما يعذر به منكروها، فهي في غاية الوضوح، وبيَّنة الدلالة على العقائد الحقَّة⁽²⁾، ولقد أحسن مَنْ قال:

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ *** إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ

نكتة التعبير بـ ﴿تَعْرِفُ﴾ مادة وصيغة:

جاء التعبير بالفعل المضارع ﴿تَعْرِفُ﴾ - وهو جواب ﴿وَإِذَا﴾ - لإفادة ظهور الكراهية على وجوههم بالغضب أو الانفعال أو العُبُوس؛ للدلالة على فضح هؤلاء الكافرين بجعل وجوههم تنطق بما امتلأت به نفوسهم الخبيثة، وللدلالة كذلك على الفِراسة التي يجعلها الله سبحانه في نفوس المؤمنين المتبعين للآيات⁽³⁾.

بيان المخاطب بقوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ﴾:

المخاطب بقوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ﴾ كلُّ مَنْ يصلح للخطاب بدليل قوله ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾؛ أي أنَّ هذا الخطاب ليس خاصًّا بفريق بعينه، وإنَّ المقصود به في المقام الأوَّل هم كفَّار مكَّة الذين

حجج القرآن
بالغة، ودلالته
واضحة دامغة

قوة الحجج
ووضوح
الدلالات؛
فاضح لما جاء به
أهل الكفر من
ادِّعاءات

لأهل الكفر
في كلِّ زمان
خصائص
موصوفة،
ودلائل معروفة

(1) ابن فارس، القاييس، ومحمد جبل، للعجم الاشتقاقي المؤصل: (بين).

(2) البقاعي، نظم الدرر: 94 / 13، وابن كمال باشا، تفسير القرآن: 154 / 7، وأبو السَّعود، إرشاد العقل

السليم: 120 / 6، والآلوسي، روح المعاني: 190 / 9، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 335 / 17.

(3) الهلال، الثري الجامع: 184 / 17.

كذبوا الرسول ﷺ ابتداءً وأذوه، لكنَّ هذا الكفر متكرِّر، وسيظلُّ يتكرَّر بتكرَّر تلاوة الآيات؛ ولهذا عبَّرَ بالمضارع هنا ليفيد التَّجَدُّد والاستمرار كما عبَّرَ بالمضارع مع تلاوة الآيات ليفيد أيضًا التَّجَدُّد والاستمرار⁽¹⁾.

فائدة التعبير بالظرفية (في):

الوجوه مرآة
القلوب؛ ومنبئة
عمَّا فيه من
أمر وخطوب

جاء التعبير بالظرفية (في) في قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ﴾؛ لإفادة تلبُّسهم بهذا الكفر الذي نطقت به وجوههم قبل أن تنطق به ألسنتهم؛ فالوجوه مرآة القلوب، فكلُّ صورة من الإقرار والإنكار تظهر فيها، فهي أثر أحوال الباطن، وكلُّ إناء يترشَّح بما فيه⁽²⁾.

فكأنَّ الوجوه صارت وعاء للمنكر تحويه وتحوطه، ألا بسَّت هذه الوجوه!

نكتة التعبير بالاسم الموصول وصلته ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾:

القرآن عجيب
في إشاراته،
بديع في انتقالاته

جاء التعبير بالاسم الموصول وصلته في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ للتَّسجيل عليهم بالإيماء إلى أنَّ علَّة ذلك هو ما يبطنونه من الكفر؛ ولبيان مدى بشاعة الجُرم الذي وقعوا فيه وتلبسوا به وفظاعته، حيث كفروا بها وكذبوا بما جاء فيها⁽³⁾.

فالمراد مدلول هذه الصِّلة بما تضمَّنته من الصِّفة.

الغرض من تقديم قوله تعالى: ﴿فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ على المفعول:

تعبير القسامات
يسبق تعبير
الكلمات

قدِّم شبه الجملة: ﴿فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ على مفعول الفعل ﴿تَعْرِفُ﴾ وهو: ﴿الْمُنْكَرُ﴾؛ لإفادة التَّخصيص؛ أي تستدلُّ من وجوههم على المكروه وإرادة الفعل القبيح⁽⁴⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 334 / 17.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 93 / 13، والهرري، الحقائق: 416 / 18.

(3) أبو حيان، البحر المحیط: 536 / 7، والبقاعي، نظم الدرر: 93 / 13، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17 / 335.

(4) عوني، للنهаж الواضح للبلغة: 35 / 2.

(4) الهمري، الحقائق: 447 / 18.

فكأنَّ الوجوه المنكرة لما أنزل الله تعالى هي وجوه الذين كفروا خصوصًا، فلا ينكر الآيات، ولا يكره الدلائل البيِّنات إلا مَنْ كفر برَبِّ الأرض والسَّمَاوَات.

بلدغة الإظهار في موقع الإضمار في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾:

جاء الإظهار بالموصول وصلته في قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ وكان مقتضى الظاهر أن يقال: (تعرف في وجوههم) بالإضمار، وذلك للتنبية على العلة الموجبة لظهور المنكر، الجالبة للشقاوة في الدارين، ولتعميم الحكم في كلِّ كافر؛ إذ ليس المراد تخصيص أفراد بأعيانهم، بل المراد أنَّ مَنْ ينكر آيات الله تعالى هو كلُّ كافر في كلِّ زمان وأيّ مكان.

مع ما يفيد من تنبيه السامع إلى تغيُّر نسق الخطاب للتسجيل على المنكرين بأنَّهم هم الكاملون في الفسق والتمرد؛ لزيادة التقرير أو للإهانة والتحقير⁽¹⁾.

معنى (أل) في قوله تعالى: ﴿الْمُنْكَرُ﴾:

جاءت (أل) في قوله تعالى: ﴿الْمُنْكَرُ﴾ لبيان الجنس، لتفيد شمول خصائص الإنكار كلها من تغيُّط وبُسور واستفضاع ووجوم وإعراض وعُبوس.

ويجوز أن تكون عهديَّة: لإفادة أنَّ المعهود منهم عند الاستماع للآيات الإنكار والتكذيب المخصوص الذي عُمِدَ عنهم عند كلِّ سماع، نحو قوله سبحانه: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: 30]⁽²⁾.

دلالة التعبير بـ﴿الْمُنْكَرُ﴾ مادة وصيغة:

المنكر: ما ليس فيه رضا الله سبحانه من قولٍ أو فعلٍ، والمعروف

الجحود بآيات
الله تعالى سبب
لإنفاذ الوعيد،
واستحقاق
العذاب الشديد

الكفر بادٍ منهم
دائمًا وحاضر،
لا سيَّما عند
نزول النواهي
والأوامر

النُّكران دليل
الكفران

(1) أبو حنَّان، البحر المحيط: 536/7، وابن عادل، اللُّباب: 14/14، والبقاعي، نظم الدرر: 93/13، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 335/17.
(2) للرازي، الجنى الداني، ص: 192.

ضدّه⁽¹⁾، ومادّته تدور على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب⁽²⁾، فهو كلُّ فعلٍ تحكم العقول الصّحيحة بقبحه، أو تتوقّف في استقباحه واستحسانه العقول، فتحكم بقبحه الشريعة⁽³⁾.

وهو هنا إمّا بمعنى الشّيء الذي تنكره الأنظار والنّفوس فيكون اسمًا؛ أي: دلائل كراهيتهم وغضبهم وعزمهم على السّوء، وإمّا مصدر ميميٌّ بمعنى الإنكار؛ كالمكرم بمعنى الإكرام، والمحملان آيلان إلى معنى أنّهم يلوح على وجوههم الغيظ والغضب عندما يتلى عليهم القرآن ويُدعون إلى الإيمان، ويصحّ أن يكون المنكر هو حال وجوههم من التّغيّظ والبُسور والاستفْظاع، وسُمّيت هذه الحال **«الْمُنْكِرُ»**؛ لأنّها في ذاتها أمر منكر، إذ لا يتلقّون الحقّ بالتّفهم والتّدبّر، بل يبادرون برّدّه ردًّا عنيفًا مستكبرين، قد غلظت أعناقهم، وتجهّمت وجوههم⁽⁴⁾.

بلاغة الكناية في قوله تعالى: «تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكِرُ»:
في قوله تعالى: **«تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكِرُ»** كناية بديعة، حيث كنّى سبحانه عن امتلاء نفوسهم من الإنكار والغيظ حتى تجاوز أثر ذلك الغيظ بواطنهم وظهر على وجوههم، ولأجل هذه الكناية عدل عن التصريح بنحو: اشتدّ غيظهم، أو يكادون يتميّزون غيظًا، كما في قوله تعالى: **«قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ»** [النحل: 22]⁽⁵⁾.

نكتة فصل قوله تعالى: «يَكَادُونَ»:

فصل قوله تعالى: «يَكَادُونَ يَسْطُونَ» عمّا قبله كونه واقعًا موقع بدل الاشتمال لجملة **«تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكِرُ»** لإفادة

(1) الجرجاني، التعريفات، ص: 234.

(2) ابن فارس، القاموس: (نكر).

(3) الراغب، المفردات: (نكر).

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 251، وأبو حنّان، البحر المحيط: 7/ 536، وابن كمال باشا، تفسير القرآن: 7/ 154، وأبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 120، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 334.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 334.

ينضح الوجه
وينطق اللسان
بما امتلأت به
النفس وحشي
به الوجدان

يشتمل الإنكار
على شتى
أشكال السطو
والازورار

أَنَّ الهمَّ بالسَّطو ممَّا يشتمل عليه المنكر⁽¹⁾، فبين الجملتين الكريميتين كمال اتِّصال، وهو من المواضع الموجبة للفصل.

دلالة التعبير ﴿يَكَادُونَ﴾ مادة وصيغة:

جاء الفعل (كاد) وهو من أفعال المقاربة؛ ليفيد مقاربة الفعل دون مزاولته، يقال:

كَادَ يفعل: إذا لم يكن قد فعل، وإذا كان معه حرف نفي يكون لما قد وقع، ويكون قريباً من ألا يكون واقعاً⁽²⁾؛ فهم يقاربون ذلك طولَ زمانهم، وتتقد جذوات الفتك في وجدانهم، ولكنَّ الله يدافع عن الذين آمنوا، ويصرف عنهم أذى الكافرين، وقال تعالى: ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ مع أنَّهم قد سطوا بالفعل، ذلك لأنَّ الحكم عامٌّ، والسَّطو الفعليُّ كان من بعضهم، لا من جميعهم، وما كان من التلاوة فقط، بل كان من اعتناقهم الإسلام مع هذه التلاوة؛ فالمقاربة بالنسبة لجميعهم، لا بالنسبة لبعضهم، فلا يعارض ذلك بما وقع من هؤلاء البعداء ببعض الصحابة من سطو في شاذٍ من الأوقات⁽³⁾.

دلالة التعبير ﴿يَسْطُونَ﴾ مادة وصيغة:

تدلُّ مادة السَّطو على القهر والعلو، يقال سطا عليه يسطو، وذلك إذا قهره ببطش، وسطا به إذا بطش به برفع يده عليه⁽⁴⁾.

والمعنى: يقاربون أن يصلوا على الذين يتلون عليهم الآيات من شدة الغضب والغیظ من سماع القرآن، ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 141]⁽⁵⁾.

يقارب الكفار
إيذاء المؤمنين
طول زمانهم،
وتتقد جذوات
الفتك في
وجدانهم

مشاهد السطو
ونظرات
الاعتراض،
ناطقة بما
خفي من غيظ
وامتناع

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 335 / 17.

(2) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (كاد).

(3) أبو حيان، البحر المحیط: 536 / 7، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 335 / 17، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 5028 / 9، والهلal، الثري الجامع: 184 / 17.

(4) ابن فارس، اللقائيس، والراغب، المفردات: (سطو).

(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 251 / 23، وأبو حيان، البحر المحیط: 536 / 7، وابن كمال باشا، تفسير القرآن: 155 / 7، وأبو الشعود، إرشاد العقل السليم: 120 / 6، والآلوسي، روح للعاني: 190 / 9، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 335 / 17، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 5028 / 9، والهلal، الثري الجامع: 184 / 17.

وَعَبَّرَ بِالسَّطْوِ هُنَا دُونَ الْقَهْرِ - وَإِنْ كَانَ فِي مَعْنَاهُ - لَمَّا فِي السَّطْوِ مِنْ مَعْنَى الْعُلُوِّ وَالْبَطْشِ وَالْقَهْرِ، وَهَذَا يَصَوِّرُ مَا أَرَادَ الْكَافِرُونَ فَعَلَهُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَكَادُوا يَدْرِكُوهُ لَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ.

والتَّعْبِيرُ بِالْمُضَارِعِ لِإِفَادَةِ التَّجَدُّدِ وَالِاسْتِمْرَارِ وَاسْتِحْضَارِ الصُّورَةِ، أَيْ أَنَّ هَذَا هُوَ حَالُ الْكَافِرِينَ دَائِمًا؛ فَلْيَعْتَبِرْ أُولُو الْأَلْبَابِ.

معنى الباء في قوله تعالى: ﴿بِالَّذِينَ﴾:

الأصل في معنى (الباء) أنه موضوع للدلالة على الإلصاق حقيقياً كان أم مجازياً⁽¹⁾، وهو المراد هنا، فالباء في قوله تعالى: ﴿بِالَّذِينَ﴾ للإلصاق المجازي، ولتصوير أن الكافرين كادوا أن يُلصِقُوا بِطَشَهُمُ الشَّدِيدَ بِالْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ كَانُوا، فَدَائِمًا مَا يَكُونُ عداؤُهُمْ مَوْجَّهًا لِمَنْ يَرْفَعُونَ رَايَةَ الْحَقِّ، وَيَبْلُغُونَ آيَاتِ اللَّهِ بِصَدَقٍ، وَقَدْ أَفَادَتْ - إِلَى جَانِبِ الْإِلْصَاقِ - تَعْدِيَةَ الْفِعْلِ لِلْمَفْعُولِ.

غرض التعبير بالاسم الموصول وصلته ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ﴾:

جاء التعبير بالاسم الموصول (الَّذِينَ) وصلته ﴿يَتْلُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ للتنبيه على العلة في إنكار الكافرين على المؤمنين، ولبيان شرف التلاوة، وما يترتب عليها من عظيم الأجر، وجزيل الثواب⁽²⁾.

نكتة التعبير بالمضارع في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ﴾:

جاء التعبير في قوله تعالى: ﴿تُتْلَى﴾ بصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجديدي؛ أَيْ أَنَّ تِلَاوَةَ الْآيَاتِ سَتَبْقَى، وَسَيَسْخَرُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْأَبْرَارِ مَنْ يَتْلُونَ آيَاتِهِ عَلَى مَسَامِعِ الْكَفَّارِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ⁽³⁾.

(1) الزمخشري، الفصل، ص: 381، وابن يعيش، شرح الفصل: 4/ 474، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 19.

(2) أبو حنبل، البحر الحيط: 7/ 536، وابن عادل، الباب: 14/ 146، والبقاعي، نظم الدرر: 13/ 93، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 335.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 94، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 120، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 190.

عداوة أهل
الباطل لأهل
الحق دائمة،
ومحاربتهم
إيَّاهم قائمة

لتداوة الآيات
شرف لا يُبَرِّز،
وعز لا يدانيه عز

القرآن نور لا
يخبو ضياؤه،
ولا يحجب نوره
وسناؤه

نكتة تعدية التلاوة بحرف الاستعلاء:

جاءت تعدية التلاوة بحرف الاستعلاء (على) في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ﴾؛ لبيان منزلة هذه الآيات وعلو قدرها وشأنها؛ حيث إنَّها منزلة من العليِّ الكبير سبحانه؛ ممَّا يوجب على العباد الأخذ بها، والعمل بمقتضى أحكامها⁽¹⁾.

آيات القرآن
واضحة جليَّة،
ومكانتها جليَّة
عليَّة

وفيهما كذلك دلالة على علو مكانة من يتلو هذه الآيات؛ وذلك لتمسُّكهم بحبل السَّماء، فعَلَّتْ كعوبهم هوائِ النَّاسِ، وذلك نحو قوله تعالى لموسى ﷺ: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾ [طه: 68].

غرض تقديم شبه الجملة ﴿عَلَيْهِمْ﴾:

تقدِّم شبه الجملة على المفعول به في قوله سبحانه: ﴿يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾؛ لإفادة التَّخصيص؛ أي أنَّ المؤمنين ذهبوا إلى الكافرين دُعاةً ناصحين، يدعونهم إلى التَّمسُّك بِهُدَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، والنَّجَاءِ مِنْ لُجَّةِ الْكَفْرِ الْمَيِينِ، فقصدوهم بتلاوة الآيات على مسامعهم، ولكنَّ الكافرين كانوا على عنادهم مصرِّين، وبكُفْرهم مستمسكين!

خَصَّ الْمُؤْمِنُونَ
الْكُفَّارَ
بِدَعْوَتِهِمْ،
فَقَابَلَهُمُ
الْكَافِرُونَ
بَسُطُوَّتِهِمْ

نكتة إضافة الآيات إلى ضمير العظمة:

جاءت الآيات مضافة إلى ضمير العظمة في قوله تعالى: ﴿ءَايَاتِنَا﴾؛ لبيان أنَّها من الله العظيم؛ وهذا باعث على وجوب اتِّباعها، وتصديق ما جاء فيها دون مرء؛ ولبيان ما لها من العظمة والعلو؛ حيث إنَّها منزلة من العليِّ الحكيم سبحانه جَلَّ في علاه⁽²⁾.

يَعَظُّمُ الْقُرْآنُ
بِعَظْمَةِ الْخَالِقِ
الْجَلِيلِ، وَلِيُبْلَغَهُ
الْمَكَانَ الْأَرْفَعَ
وَالثَّوَابَ الْجَزِيلَ

فإذا بلغ الكافرون أن كفروا بالآيات التي هي آيات الله تعالى، والتي هي منزلة من الله - فقد بلغوا أقصى مبلغ من العتو والجحود!

نكتة إظهار تلاوة الآيات في موضع إضمارها:

جاء التَّعبير بإظهار تلاوة الآيات في موضع إضمارها في قوله

(1) البقاعي، نظم الدرر: 95 / 13.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 93 / 13.

عداوة أهل
الكفر لآيات
الله مستمرة،
وقلوبهم بالكفر
مستقرة

فصل وابتداء؛
لبیان العاقبة
والجزاء

استئذان
تهكمي؛ لبیان
أن دخولهم دار
البوار أمر مقضي

تنبغي دعوة
أهل الباطل
بالترغيب،
ومواجهتهم
بالترهيب

الاستفهام فيه
معنى الإنكار؛
لبیان أن مصير
الكافرين النار

تعالى: ﴿يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾، وكان مقتضى الظاهر: (يتلونها عليهم)؛ وذلك لبيان شرف تلاوة آيات الله ﷻ، وللإشارة كذلك إلى علة معاداة أهل الجحود والكفران لأهل الإيمان، ولتعميم الحكم⁽¹⁾.

نكتة فصل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَأَنْبِئُكُمْ﴾:

فصل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَأَنْبِئُكُمْ﴾ عن سابقه؛ لأنه استئناف ابتدائي للانتقال إلى ذكر وعيد المشركين؛ لزيادة إغاثتهم بأن أمر الله النبي ﷺ أن يتلو عليهم ما يفيد أنهم صائرون إلى عذاب النار⁽²⁾.

دلالة قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْبِئُكُمْ﴾ على التهكم والاستهزاء:

الاستفهام الوارد في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْبِئُكُمْ﴾ مستعمل في الاستئذان، وهو استئذان تهكمي؛ لأنه قد نبأهم بذلك دون أن ينتظر جوابهم، وكذا للسخرية من عقولهم التي لم تفهم آيات الله التي جاءتهم من عند الله مع بيانها ووضوحها؛ فكأنه قال: أتعون فأخبركم خبراً عظيماً⁽³⁾؟

دلالة فعل الأمر ﴿قُلْ﴾:

الأمر في قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾ على حقيقته لصدوره من الأعلى، وفيه حث للرسول ﷺ للرد على أولئك المعاندين الجاحدين، وإقناظ عما يقصدونه من الإضرار بالمسلمين⁽⁴⁾.

بلادة الاستفهام ونوعه ورضه في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْبِئُكُمْ﴾:

الهمزة في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْبِئُكُمْ﴾ للاستفهام؛ وهو استفهام تهكمي؛ لأنه قد نبأهم بذلك دون أن ينتظر جوابهم، ورضه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 335 / 17.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 336 / 17.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 94 / 13.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 120 / 6.

الإنكار على هؤلاء المكذِّبين تكذيبهم بالآيات البيِّنات، وكذا إنكار ما يلحقونه بالمؤمنين من فتكٍ وبطش، وإعلامهم أنَّ ما فعلوه لن يمرَّ دون حساب أو عقاب⁽¹⁾.

معنى الفاء ودلالتها على المحذوف قبلها في قوله تعالى: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُمْ﴾:

جاءت الفاء في قوله تعالى: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُمْ﴾؛ لإفادة التَّفْرِيع؛ للدَّلالة على أنَّ ظهور أثر المنكر على وجوههم كان بمنزلة الألفاظ؛ ففرَّع عليها ما هو جواب عن كلام، فيزيدهم غيظًا وتجهُّمًا، فالفاء عاطفة على محذوف، وجملة: (أُنَبِّئُكُمْ...) إلخ معطوفة على جملة مقدَّرة قبلها، والتَّقدير: (أخاطبكم فأُنَبِّئُكُمْ)⁽²⁾.

ويجوز جعل التَّفْرِيع على التَّلاوة المأخوذة من قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا﴾؛ أي: اتلَّ عليهم الآيات المنذرة والمبيِّنة لكفرهم، وفرَّع عليها وعيدهم بالنَّار، فهذا جزاء الفُجَّار⁽³⁾.

نكتة التعبير بالإنباء مادَّة وصيغة:

النَّبَأُ: خبر ذو فائدة عظيمة، يحصل به علم أو غلبة ظنٍّ، ولا يقال للخبر في الأصل نَبَأٌ حتى يتضمَّن هذه الأشياء الثلاثة، وحقُّ الخبر الذي يقال فيه نَبَأٌ أن يتعرَّى عن الكذب، كالتَّواتر، وخبر الله تعالى، وخبر النَّبِيِّ ﷺ⁽⁴⁾.

والنَّبَأُ والأنباء لم يردا في القرآن إلَّا لما له وقع وشأن عظيم⁽⁵⁾.

وقد جاء هنا لإخبار الكافرين بأخبار خطيرة لا تسرُّهم بل تضرُّهم؛ ليزداد غمُّهم، ومساءتهم⁽⁶⁾.

تفريع الوعيد
على الإنباء،
ترهيبًا من سوء
الجزاء

لنَّبَأٍ خطيرة
وشأن عظيم،
فلا يكون إلَّا
في الخطب
الجسيم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 336 / 17، والهلal، الثري الجامع: 184 / 17.

(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 480 / 6، والدره، تفسير القرآن وإعرابه: 208 / 6.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 336 / 17، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 5028 / 9.

(4) الراغب، المفردات: (نَبَأٌ).

(5) أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص: 886.

(6) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5028 / 9.

في الوعيد بالنار
تخويف قوي،
لَمَن كان له قلب
حي

عذاب النار أشدُّ
إيلامًا وإذلالًا،
وأصحابها أسوأ
الخلق حالًا

النار أشدُّ شَرًّا،
وأعظم ضرًّا

معنى الباء في قوله تعالى: ﴿بَشِّرْ﴾:

الأصل في معنى (الباء) أَنَّهُ موضوع للدلالة على الإلصاق، حقيقياً كان أم مجازياً⁽¹⁾، وهذا هو المراد هنا، فالباء في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتُمْ كُفَّارٌ﴾ كَأَنَّهُ جعل الشَّرَّ ملتصقاً بالإنباء من أوَّل حرف فيه إلى نهاية إبلاغه، وفيه دلالة على أَنَّ الوعيد بالنار أمر عظيم، وهول جسيم، لا خير فيه لَمَن استحقَّه، نسأل الله السَّلامة والعافية.

نكتة التعبير بـ ﴿بَشِّرْ﴾ مادة وصيغة:

تدور مادة الشَّرِّ حول الانتشار والتَّطايُر مع الحِدَّة الحقيقِيَّة أو ما هو من بابها⁽²⁾، والشَّرُّ: عبارة عن عدم ملائمة الشَّيْء الطَّبع⁽³⁾، ولذلك يرغب عنه الكلُّ⁽⁴⁾.

و(شَرٌّ) في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَأَنْتُمْ كُفَّارٌ﴾ اسم تفصيل، أصله أَشَرُّ، ويكثر حذف الهمزة منه تخفيفاً، كما حُذفت في (خير) وهي بمعنى (أخير)؛ لبيان أَنَّ عذاب النار الذي ينتظرهم في الآخرة هو أَشَدُّ إيلامًا، وأبشع منظرًا لو أَنَّهُم يعون ويفهمون⁽⁵⁾.

معنى ﴿مِنْ﴾:

الأصل في معنى (مِنْ) أَنَّهُ موضوع للدلالة على ابتداء الغاية⁽⁶⁾، وهو بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿مِنْ ذَٰلِكُمْ﴾؛ إذ التَّقدير أَنَّهُ جعل ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ - المشار به إلى غيظهم من سماع الآيات - الموضع الذي ابتدئ منه السُّفول إلى ما هو أَشَدُّ ضرًّا، وأعظم شرًّا⁽⁷⁾؛ أي: (إِنَّ) سألتكم عن الذي هو أَشَدُّ شرًّا فاعلموا أَنَّهُ النار⁽⁸⁾.

(1) الزمخشري، للفصل، ص: 381، وابن يعيش، شرح للفصل: 4/ 474، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 19.

(2) ابن فارس، القاموس، ومحمد جبل، للعجم الاشتقاق المؤصل: (شر).

(3) الجرجاني، التعريفات، ص: 127.

(4) الراغب، المفردات: (شر).

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 336، والهلل، الثري الجامع: 17/ 184.

(6) الزمخشري، للفصل، ص: 379، وابن يعيش، شرح للفصل: 4/ 459، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 75.

(7) سيبويه، الكتاب: 4/ 225.

(8) الهلل، الثري الجامع: 17/ 184.

نكتة التعبير باسم الإشارة البعيد ﴿ذَلِكُمْ﴾:

التعبير باسم الإشارة البعيد ﴿ذَلِكُمْ﴾ يدلُّ على الإبعاد والتَّحْقِير؛ ذلك أنَّه وارد في سياق الذَّمِّ والتَّهْكُم. وهو يشير إلى ما أثار نُكرهم وحفيظتهم؛ أي ما هو أشدُّ شَرًّا عليكم في نفوسكم ممَّا سمعتموه فأغضبكم؛ أي: فإن كنتم غاضبين لما تُلي عليكم من الآيات فازدادوا غضبًا بهذا الذي أنبئكم به: ﴿النَّارُ﴾⁽¹⁾.

في الإبعاد
تحقير وإذلال،
لمستحقّي
العذاب والنكال

معنى (أل) في قوله تعالى: ﴿النَّارُ﴾:

(أل) في قوله تعالى: ﴿النَّارُ﴾ هي العهدية؛ أي: النَّار التي قرع ذكرها أسماعكم فجعلتم في آذانكم وقرأ فصمتم، وخوفتم بعدابها فما ارعويتم.

نكتة فصل قوله تعالى: ﴿النَّارُ﴾:

فُصِّلَ قوله تعالى: ﴿النَّارُ﴾ عن سابقه؛ لأنَّه استئناف بياني ناشئ عن سؤال مقدَّر؛ أي: إن سألتكم عن الذي هو أشدُّ شَرًّا فاعلموا أنَّه النَّارُ⁽²⁾.

الموقع النَّحْوِي لقوله تعالى: ﴿النَّارُ﴾:

الرَّفْعُ في قوله تعالى: ﴿النَّارُ﴾ من وجهين:

أحدهما: الرَّفْعُ على الابتداء، والخبرُ الجملةُ من ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ والجملةُ لا محلَّ لها؛ فإنَّها مفسَّرةٌ للشرِّ المتقدِّم، كأنَّه قيل: ما شرُّ من ذلك؟ فقيل: ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

والثَّاني: أنَّها خبرٌ مبتدأ مضمَّر، كأنَّه قيل: ما شرُّ من ذلك؟ فقيل: ﴿النَّارُ﴾؛ أي: هو النَّارُ، وحينئذٍ يجوز في قوله تعالى: ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ الرَّفْعُ على كونها خبرًا بعد خبر.

في النَّار موعظة
للوَجَلين، لا
تخشع لها
قلوب المعرضين

(1) الفخر الرَّازي، مفاتيح الغيب: 251 / 23، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 336 / 17، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 5028 - 5029.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 336 / 17.

وأجيز أن تكون بدلاً من «النَّارِ»، وفيه نظرٌ من حيث إنَّ المُبدَل منه مفردٌ، وقد يُجاب عنه بأنَّ الجملةَ في تأويلٍ مفردٍ، وتكونُ بدلَ اشتمالٍ، كأنَّه قيل: «النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ» الكفَّارَ، وأجيز أن تكونَ مستأنفةً لا محلَّ لها.

دلالة التعبير بالجملة الاسميّة:

أوثر التعبير بالجملة الاسميّة في قوله تعالى: «النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا» لما فيها من الدلالة على معنى الثبوت والدوام لمجيئها في معرض الذمّ⁽¹⁾.

وهذا ضرب من ضروب التوكيد، فالتعبير بالاسميّة هنا أبلغ من الفعلية لأنَّ المراد إخبار هؤلاء المخاطبين ومَن جاء بعدهم ممَّن كان على شاكلتهم أنَّهم في النَّار خالدون، وما هم منها بخارجين. فناسبَت الجملة الاسميّة - بدلالتها على الثبوت - التعبير عن الخلود واللبث في النَّار لأحقاب لا يعلم مداها إلاَّ الجبار.

الموقع النَّحْوِي لقوله تعالى: «وَعَدَهَا اللَّهُ»:

جملة «وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا» إمَّا خبر ثانٍ، وإمَّا خبرُ «النَّارِ»، و«وَعَدَهَا اللَّهُ» فعلٌ ومفعولٌ به أوَّل وفاعل، و«الَّذِينَ كَفَرُوا» مفعولٌ به ثانٍ لـ «وَعَدَهَا».

ويجوز أن يكون الضمير هو المفعول الثاني، و«الَّذِينَ كَفَرُوا» هو المفعول الأوَّل، وهو أرجح⁽²⁾؛ لأنَّه متى اجتمع بعد ما يتعدى إلى اثنين شيان ليس ثانيهما عبارةً عن الأوَّل، فالفاعل المعنويُّ رتبته التَّقديم، وهو المفعول الأوَّل، ونعني بالفاعل المعنويِّ مَن يتأتَّى مِنْهُ فعلٌ، فإذا قُلْتُ: (وَعَدْتُ زَيْدًا دينارًا) فالدينار هو المفعول؛ لأنَّه لا يتأتَّى مِنْهُ فعلٌ، وهو نظير: (أَعْطَيْتُ زَيْدًا درهمًا)، فزيد هو الفاعل؛ لأنَّه أَخَذَ الدرهم⁽³⁾.

(1) عتيق، علم المعاني: 48 / 1.

(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 480 / 6.

(3) السمين، الدر المصون: 307 / 8.

تناسب الاسميّة
معنى اللَّبث في
النَّار لأحقاب لا
يعلمها مداها
إلاَّ الجبار

الله منجز
وعيدَه، وليس
يُخلف وعده

نكتة التعبير بالمسند الفعلي ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ﴾:

أفاد التعبير بالمسند الفعلي في قوله تعالى: ﴿وَعَدَهَا اللَّهُ﴾ معنى التخصيص وتقوية الحكم، فأما التخصيص فلِكون الواعد بها هو الله رب العالمين، وليس هذا لأحد إلا لله، وأما تقوية الحكم فمستفاد من إعادة الإسناد⁽¹⁾؛ ذلك أن قوله تعالى: ﴿وَعَدَهَا﴾ يعود على المسند إليه الذي هو ﴿النَّارُ﴾، كما أن فيه ضميراً يعود أيضاً على هذا المسند إليه نفسه، فإعادة الإسناد تقوي الحكم وتؤكد.

نكتة الإظهار في موضع الإضمار:

قوله تعالى: ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إظهار في مقام الإضمار، وكان مقتضى السياق أن يكون: (وعدها الله إياكم)، ولكنه أظهر في موضع الإضمار لبيان العلة الموجبة لدخول النار، وهي الكفر بالله وبآياته سبحانه، فالله تعالى لم يظلمهم شيئاً ولكن كانوا هم الظالمين.

وهو مع التعليل يفيد معنى التعميم؛ أي: أن هذا الحكم عام في كل كافر، لا يخص فرداً أو أفراداً بعينهم، وليدل كذلك على أنهم هم الكاملون في الفسق والتمرّد؛ لزيادة التّقرير، وللإهانة والتّحقير⁽²⁾.

غرض التعبير بالاسم الموصول وصلته ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾:

جاء التعبير بالاسم الموصول وصلته في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ للتسجيل عليهم بالكفر، وللإشارة إلى أن مضمون الصلة - وهو الكفر والإعراض عن الآيات البينات - هو سبب الحكم الذي استحقّوه، وهو النار وبئس المصير، فإنّها لا نهاية لعذابها، بل هم خالدون فيها، وهي مصيرهم الذي لا ينتهي⁽³⁾.

أفاد المسند
الفعلي التوكيد،
لما تضمّنته
صيغة الوعيد

لا يظلم الله
أحدًا، فقد حرّم
الظلم على
نفسه أبداً

الكفر بالآيات
والنّذير موجب
للخلود في
السّعير

(1) طبل، علم اللعاني، ص: 125.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 337/ 17.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 251، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 336/ 17، وأبو زهرة، زهرة

التفاسير: 5028 / 9 - 5029.

وفيه كذلك تعريض بتعظيم الآيات المنزلة من عند الله، من حيث إنَّ إنكارها موجب للحساب والعقاب⁽¹⁾.

معنى الواو في قوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ﴾ اعتراضية تذييلية؛ لبيان أنَّ مصيرهم هو أسوأ مصير؛ لتحذير السامعين من أنَّ يصيروا إلى مثل ذلك المصير⁽²⁾.

للموقع التحوي لقوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ استئنافية، والجملة بعدها مستأنفة لا محلَّ لها⁽³⁾، ويجوز أن تكون تذييلًا لما فيها من عموم الحكم للمخاطبين وغيرهم⁽⁴⁾.

معنى (أل) في: ﴿الْمَصِيرُ﴾:

(أل) في قوله تعالى: ﴿الْمَصِيرُ﴾ عوض عن المضاف إليه، فتكون الجملة إنشاءً ذمٍّ معطوفة على جملة الحال على تقدير القول. ويجوز أن تكون لتعريف الجنس، الذي يفيد العموم؛ أي: بئس المصير هي لكلِّ من يصير إليها، فتكون الجملة تذييلًا لما فيها من عموم الحكم للمخاطبين وغيرهم⁽⁵⁾.

بلاغة الحذف في قوله: ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ حذف للمخصوص بالذمِّ، تقديره: (وبئس المصير هي النار)⁽⁶⁾، فحذف لتقدم ذكره،

النَّار عذاب
عظيم، ومستقرٌّ
وخيم، ومصير
أليم

لا تُداني النَّارُ
شدةً، ولا يُحدُّ
ثبَّت الكافرين
فيها بمدة

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 536، والبقاعي، نظم الدرر: 13/ 93، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 335، عوني، النهج الواضح للبلاغة: 2/ 35.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 337.
(3) الدرة، تفسير القرآن وإعرابه: 6/ 209، ومحمود صافي، الجدول: 9/ 147، والدعاس، إعراب القرآن: 2/ 321.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 337.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 337.
(6) السمين، الدر المصون: 8/ 307.

ولبيان أنَّ المصير الأسوأ هو النَّار، فليس ثمَّ ما هو أسوأ، فكأنَّه شهرته ووضوحه بحيث لا يُحتاج لذكره أو تعيينه، نسأل الله السَّلامة والعافية.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

المعرفة والعلم:

العلم إدراك الشيء على حقيقته⁽¹⁾، أمَّا المعرفة: فهي إدراكُ الشيء بتفكيرٍ وتدبُّرٍ لأثره، ومأخوذة من عرفان الدَّار، أي: آثارها التي تُعرَف بها⁽²⁾، أو مِن: عَرَفْتُ، أي: أصبت عَرَفَه، أي: رائحته⁽³⁾. والمعرفةُ أخصُّ من العلم، ويقال: فلان يعرف الله، ولا يقال: فلان يعلم الله، متعدِّياً إلى واحد؛ لأنَّ معرفة البشر لله ﷻ هي بتدبُّر آثاره دون إدراك ذاته، ويقال: اللهُ يعلم كذا، ولا يقال: يعرف كذا؛ لأنَّ المعرفة تُستعمل في العلم القاصر المتوصِّل إليه بتفكيرٍ وتدبُّرٍ⁽⁴⁾. والمعرفة في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه، فإذا أدركه قيل: عَرَفَه، وذلك كما في قول الله ﷻ: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [يوسف: 58].

والمعرفة على هذا نسبةُ الذِّكر النفسي، وهو حضور ما كان غائباً عن الذَّاكر؛ ولهذا كان ضدَّ المعرفة الإنكار وضدَّ العلم الجهل، قال الله ﷻ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: 83]، ويقال: عَرَفَ الحقُّ فأقرَّ به، وعَرَفَه فأنكره⁽⁵⁾.

السَّطو والبَطش:

السَّيْن والظَّاء والحرف المعتلُّ أصلٌ يدلُّ على القهر والعلو⁽⁶⁾،

المعرفة أخصُّ
من العلم

السَّطوة البَطش
برفع اليد،
والبَطش سرعة
الانتقام

(1) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (علم).

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 80.

(3) الراغب، المفردات: (عرف).

(4) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، والفيروزآبادي، البصائر: (عرف).

(5) الفيروزآبادي، البصائر: (عرف).

(6) ابن فارس، المقاييس: (سطو).

والسَّطَوَة: البَطْش برفع اليد، وأصل السَّطَو من: سطا الفرسُ إذا قام على رجليه رافعاً يديه⁽¹⁾، والمعنى المحوريّ للجذر يدور حول الامتداد للتناول⁽²⁾.
 والباء والطَّاء والشَّين أصلٌ واحدٌ، وهو أخذُ الشيء بقهرٍ وغلبةٍ وقوَّة⁽³⁾، والبَطْش: سرعةُ الانتقام⁽⁴⁾، وبطش به يبطش بَطْشًا: سَطَا عليه في سرعة⁽⁵⁾؛ ويدلُّ هذا على أنَّ البطشَ سَطَوٌ في سرعة.

(1) الرأغب، المفردات، والسمين الحلي، المفردات: (سطو).

(2) محمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (سطو).

(3) ابن فارس، القاييس: (بطش).

(4) السمين الحلي، عمدة الحفاظ: (بطش).

(5) ابن منظور، اللسان: (بطش).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446 هـ - 2024 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.

مج. 35، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك : 978-9948-732-77-8

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»